



الفلسفة ثانية باك

مفهوم الحرية (المحور الأول : الحرية والاحتمالية)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية

II- الموقف الفلسفي 1 : ابن رشد

1-1/ النص الفلسفي

1-2/ الأسئلة

2-3/ التصور الفلسفي

III- الموقف الفلسفي 2 : عبد الله العروي

3-1/ النص الفلسفي

3-2/ الأسئلة

3-3/ التصور الفلسفي

IV- الموقف الفلسفي 3 : كارل بوبير

4-1/ النص الفلسفي

4-2/ الأسئلة

4-3/ التصور الفلسفي

V- تركيب

I- الإشكالية

لا يستقيم الحديث عن مفهوم الحرية إلا بالحديث عن مفهوم الاحتمالية كنقيض له، فقد أسست العلوم الحديثة تصورا يضفي المعقولة على العالم من خلال الانطلاق من افتراض أساسى مفاده أن الطبيعة نسق حتمي من العلاقات السببية، إذ كل ظاهرة تحكمها شروط مادية محددة يمكن ضبطها بدقة، ومن ثمة يمكن التنبؤ بحالتها المستقبلة.

أما في القرن التاسع عشر فقد نشأت المحاولات الأولى لتجاوز هذا التصور من مجال الظاهرة الطبيعية إلى مجال الظاهرة الإنسانية، فأضحى الإنسان خاضعاً هو الآخر لمحضيات طبيعية ونفسية واجتماعية تحكم وجوده، إلا أن الفكر الفلسفـي حاول وما زال يحاول التصدي لهذه المقاربة من خلال الدفاع عن الحرية كـماهـية لـلـكـائن البـشـري، والإرادة كـمـبدأ لأـفـعالـهـ.

- إذن فـما الذي يـحدـدـ الفـعـلـ الإنسـانـيـ ؟
- أـهـوـ مـبـداـ الإـرـادـةـ الـحـرـةـ أـمـ مـبـداـ الـحـتـمـيـةـ ؟
- وـهـلـ هـمـ مـحـدـدانـ مـتـعـارـضـانـ،ـ أـمـ الـوعـيـ بـالـحـتـمـيـةـ هـوـ أـسـاسـ الـحـرـيةـ ؟

II- الموقف الفلسفـيـ 1ـ :ـ ابنـ رـشـدـ

1-2ـ النـصـ الفلـسـفـيـ

الفـعـلـ الإنسـانـيـ بـيـنـ الـحـرـيةـ وـالـحـتـمـيـةـ

يـظـهـرـ أـنـ اللهـ تـبارـكـ وـتعـالـىـ قـدـ خـلـقـ لـنـاـ قـوـىـ 1ـ تـقـدـرـ بـهـاـ أـنـ تـكـتـسـبـ 2ـ أـشـيـاءـ هـيـ أـضـدـاـدـ 3ـ .ـ لـكـنـ لـمـ كـانـ الـاـكتـسـابـ لـتـلـكـ الـأـشـيـاءـ لـيـسـ يـتـمـ لـنـاـ إـلـاـ بـمـؤـاتـةـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ سـخـرـهـاـ اللهـ لـنـاـ مـنـ خـارـجـ،ـ وـزـوـالـ الـعـوـائـقـ عـنـهـاـ،ـ كـانـ الـأـفـعـالـ الـمـنـسـوـبـةـ إـلـيـنـاـ تـمـ بـالـأـمـرـيـنـ جـمـيـعـاـ.

وـإـذـاـ كـانـ ذـلـكـ كـذـلـكـ فـالـأـفـعـالـ الـمـنـسـوـبـةـ إـلـيـنـاـ أـيـضاـ إـنـمـاـ يـتـمـ فـعـلـهـاـ بـإـرـادـتـنـاـ وـمـوـافـقـةـ الـأـفـعـالـ الـتـيـ مـنـ خـارـجـ لـهـاـ(...ـ)ـ وـلـمـ كـانـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ مـنـ خـارـجـ تـجـرـيـ عـلـىـ نـظـامـ مـحـدـودـ وـتـرـتـيـبـ مـنـضـودـ،ـ لـاـ يـخـلـ فـيـ ذـلـكـ،ـ بـحـسـبـ مـاـ قـدـرـهـاـ بـأـرـئـهـاـ عـلـيـهـ،ـ وـكـانـ إـرـادـتـنـاـ وـأـفـعـالـنـاـ لـاـ تـمـ وـلـاـ تـوـجـدـ بـالـجـمـلـةـ إـلـاـ بـمـوـافـقـةـ الـأـسـبـابـ مـنـ خـارـجـ،ـ فـوـاجـبـ أـنـ تـكـوـنـ أـفـعـالـنـاـ تـجـرـيـ عـلـىـ نـظـامـ مـحـدـودـ(...ـ)ـ وـإـنـمـاـ كـانـ ذـلـكـ وـاجـبـاـ،ـ لـأـنـ أـفـعـالـnـاـ تـكـوـنـ مـسـبـبـةـ عـنـ تـلـكـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ مـنـ خـارـجـ،ـ وـكـلـ مـسـبـبـ يـكـوـنـ عـنـ أـسـبـابـ مـحـدـودـةـ مـقـدـرـةـ،ـ فـهـوـ ضـرـورـةـ مـحـدـودـ مـقـدـرـ.ـ وـلـيـسـ يـلـفـيـ 4ـ هـذـاـ الـاـرـتـبـاطـ بـيـنـ أـفـعـالـnـاـ وـالـأـسـبـابـ الـتـيـ مـنـ خـارـجـ فـقـطـ،ـ بـلـ بـيـنـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ خـلـقـهـاـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ دـاخـلـ أـبـدـانـنـاـ.

أـبـوـ الـولـيدـ بـنـ رـشـدـ،ـ الـكـشـفـ عـنـ مـنـاهـجـ الـأـدـلـةـ فـيـ عـقـائـدـ الـمـلـلـةـ،ـ مـرـكـزـ درـاسـاتـ الـوـحدـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ لـبـانـ،ـ الطـبـعـةـ الثـانـيـةـ،ـ 2001ـ،ـ صـ:ـ 188ـ – 189ـ.

2-2ـ الأـسـئـلـةـ

1ـ أـبـيـ الإـشـكـالـ مـنـ خـالـلـ :

- إـبـرـازـ الـمـوـضـوـعـ الرـئـيـسيـ الـذـيـ يـعـالـجـهـ اـبـنـ رـشـدـ.
- صـيـاغـةـ السـؤـالـ الـذـيـ يـفـتـرـضـ أـنـ اـبـنـ رـشـدـ يـجـبـ عـنـهـ.

2ـ أـبـيـ أـطـرـوـحةـ اـبـنـ رـشـدـ مـنـ خـالـلـ :

- تفكير فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب ابن رشد عن الإشكال المطروح: أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة ابن رشد وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهننته أم أصبح متتجاوزاً.
- بيان طبيعة الحاجج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعاً من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

2-3/ التصور الفلسفى

الفيلسوف المسلم ابن رشد تأثر بالجدل الكلامي الذي عرفته الثقافة الإسلامية زمن سيادة الفرق الكلامية، بين الجبرية التي قالت بانعدام حرية الاختيار لدى الإنسان، والمعتزلة التي آمنت بحرية فعله واختياراته، والأشاعرة التي حاولت الجمع بينهما من خلال نظرية الكسب.

أما ابن رشد فقد تبنى نفس موقف الأشاعرة مؤكداً أن الشرع لم يقصد الفصل بين الاختيار والجبر وإنما قصد الجمع بينهما، حيث لا يمكن أن نتصور الفعل الإنساني حراً بشكل مطلق ولا مقيداً بشكل مطلق كذلك، وإنما هو فعل يتربّك من حرية الاختيار والقدرة الالهية أو عالم الأسباب الخارجية.

إنه فعل ما بين حدي الجبر والتخيير، فهو مشروط بقوانين الطبيعة التي خلقها الله ومحدود بقدرات البدن، مما يعني أن الفعل الإنساني نتاج للإرادة الإنسانية والإرادة الربانية في الآن نفسه، وهو ما أكدته ابن رشد حين قال: «قد أكون عازماً على السفر في يوم معين، ولكن قد تطرأ ظروف خارجية بدنية تعطل سفري مثل المرض أو طبيعة مثل المطر».

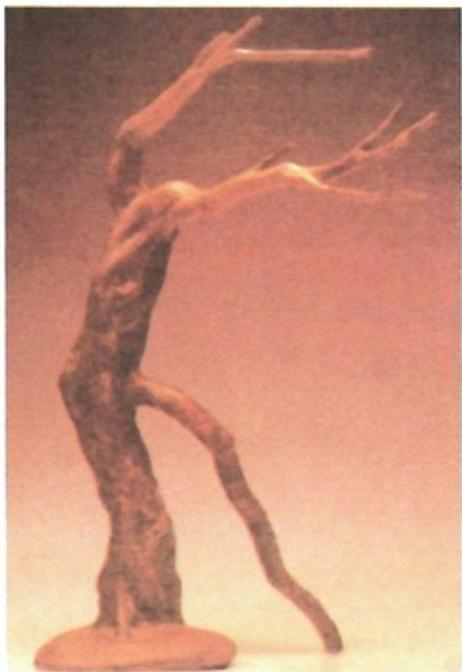
III- الموقف الفلسفى 2 : عبد الله العروي

1-3/ النص الفلسفى

الحرية والختمية

عبد الله العروي

يرى العروي أن أسباب ابتعاث الاهتمام ، مجددا ، بمسألة الحرية يعود إلى المخاوف التي ولدها تقدم العلم الذي قدم نفسه في بدايات تطوره على أنه مشروع تنويري سيوسع دائرة حرية الإنسان إلا أن التطور الحالي للعلم يشي بأن هذا الأخير يمكن أن يقلص من هذه الحرية ويوضع وسائل للتحكم فيها.



لوحة للفنان Kim, Hee-Kyung (2000) من كوريا الجنوبية
التوتر بين الختمية والحرية

«يتجدد البحث في مشكلة الحرية عبر العقود ليس فقط لأسباب اجتماعية (الحرفيات الليبرالية) أو فلسفية (نظريّة الحرية) ...، بل لسبب آخر ... هو أن العلم - الذي هو حالة تقدم مستمر، والذي يغزو كل يوم ميادين جديدة - يرتكز على مبدأ الختمية أي على نقيس الحرية كما يتصورها الرجل العادي. فكلما تقدم العلم في ميدان يتعلق بالعمل البشري وبالمبادرة الفردية، تخوف الإنسان من أن تقدم الاكتشافات الجديدة للبعض وسائل التحكم في إرادة البعض الآخر...»
لقد اعتبر المفكرون، في بداية العصر الحديث، أن العلم هو الوسيلة الوحيدة لتحرير الإنسان من قيود الطبيعة.

لكن التجربة أظهرت في هذا القرن، أن العلم قد يخدم الحرية كما قد يحاصرها ويقضي عليها. ومن المشاهد أن أغلب علماء الطبيعة أصبحوا يشكون في مبدأ الحرية الإنسانية ويعتبرون أن الشعور الذاتي بها يخفى جهلاً مؤقتاً بالدافع الحقيقية لاختيارات البشر. لذا نشاهد أن المجتمع المعاصر يخوف أكثر فأكثر من أن يتحول العالم من مُعَضِّدٍ للحرية إلى عدو لها، والعلم من وسيلة لتحقيق الحرية إلى خطر عليها.

وكما أن الباعث على النقاش حول الحرية في القرون الوسطى كان هو إرادة التوفيق بين اختيار الإنسان والقدر الإلهي، فمن أهم أسباب تحديد النقاش حول موضوع الحرية اليوم هو محاولة التصالح بين حرية الوجود وحقيقة العلم الطبيعي. ومن هنا ينشأ بعض التشابه الشكلي في طرح القضية.»

عبد الله العروي ، مفهوم الحرية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1981 ، ص. 89 .

2-3 / الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه العروي.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن العروي يجيب عنه.

2- أبني أطروحة العروي من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).

- استخلاص جواب العروي عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءاً من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3/ التصور الفلسفـي

يرى العروي أن انبعاث الحديث عن إشكالية الحرية والاحتمالية راجع إلى التطور الذي شهدته ويشهده العلم في الآونة الأخيرة، فبعد أن كان مراد النقاش حول تلك الإشكالية نابعاً في القرون الوسطى من محاولة التوفيق بين اختيار الإنسان والقدر الإلهي، أصبح الآن الدافع الأكبر هو التخوف من التحكم الجديدة ووسائل المراقبة الحديثة التي وفرها التقدم العلمي والتقيي، والتي جعلت حرية الإنسان الشخصية والجماعية في خطر، وإذا كان الإنسان قد اعتقاد سابقاً أن العلم أداة لتحريره من سلطان الطبيعة فقد غدا الاعتقاد لأن يكبر شيئاً فشيئاً في أن التقدم العلمي والتطور التقني قد يجعل الإنسان يرثي تحت قيود التحكم الجديد.

٧- الموقف الفلسفـي ٣ : كارل بوبر

١-٤/ النص الفلسفـي

مفهوم اللاحتمية

كارل بوبر

منذ كتابه «عقم المذهب التاريخي»، نصبَ كارل بوبر نفسه معتقداً لللاحتمية في مجال العلوم الإنسانية ومناصرًا للنزعة اللاحتمية. ولكنه لا يذهب إلى حد اعتبار الحرية الإنسانية معطى مطلقاً بل يرى أنها خاضعة للمحددات والقواعد المتواترة في مجال من المجالات وكذا للسيارات والظروف المحيطة.



تلقين الحرية. لوحة للفنان فيكتور براونر 1954

لاشك في أن الوعي بأن الإنسان حيوان، وأن الرغبة في أن يجعل منه جزءاً من الطبيعة هي ما يشكل الحجة الفلسفية الأساسية لصالح الاحتمية وانغلاق العالم العلوي للطبيعة. واعتقد أن التعليل في محله ؟ فإذا كانت الطبيعة حتمية بشكل تام، فإن مملكة الأفعال والتصرفات الإنسانية ستكون كذلك. إذن لن تكون هناك، عملياً، أية أفعال، بل مجرد مظاهر للفعل.

لكن البرهان المضاد هو أيضاً برهان صلب. إذا كان الإنسان حرّاً، ولو جزئياً، فإن الطبيعة ستكون كذلك ؛ وسيكون عالم الطبيعة الفيزيائي بدوره منفتحاً. وستكون كل الأسباب تؤيد الاعتقاد بأن الإنسان حر، ولو جزئياً. أما وجهة النظر المناقضة التي دافع عنها بعض دعاة الاحتمية من العلماء، فإنها ستقود إلى نوع من القدريّة القبلية. فهي ستقود إلى فكرة أن الجزيئات الأولية لعالم الطبيعة كانت تتضمن شعر هوميروس وفلسفة أفلاطون وسمفونيات بتهوفن مثلما تحتوي الحبة النبتة. وستقود إلى فكرة أن التاريخ البشري هو تاريخ خاضع لاحتمالية قدرية مسبقة ومعه كل تحجيمات الإبداع الإنساني التي ستنظر إليها باعتبارها هدفاً.

ومع ذلك فإن النظرية التي ترى أن الإبداعات الفنية والموسيقية يمكن، في النهاية، أن تفسر بالفاظ الكيمياء أو الفيزياء، تبدو لي نظرية عببية، لأن الإبداع الموسيقي يتوقف على شبكة من العوامل كتمثل الإبداعات السابقة وتمثل قواعد وقوانين هذا النوع الفني، إلخ.

وهكذا فإن حررتنا، وبخاصة حرية الإبداع هي حرية خاضعة لمحددات ثلاثة : إكراهات العالم الطبيعي، محددات عالم الأحساس والوجودان، إضافة إلى قوانين عالم الفكر والتمثيلات الفكرية.

إن حررتنا، وبخاصة حرية الإبداع خاضعة للتحديات الثلاث المذكورة ولكن المدع مثله في ذلك مثل المستكشف في جبال الهملايا، حُرّ في أن يختار طريقاً من بين عدة طرق.»

(ترجمة فريق التأليف) Karl Popper, *L'univers irrésolu, plaidoyer pour l'indéterminisme*, trad. fr. R. Bouveresse, Hermann, Paris 1982, p. 105.

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه كارل بوب.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن كارل بوب يجيب عنه.

2- أبني أطروحة كارل بوب من خلال :

- تفكير فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب كارل بوب عن الإشكال المطروح : فهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستبطن البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدها من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة ابن رشد وأطروحة العروي.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

3-4 / التصور الفلسفية

ينتقد كارل بوب الأطروحة الاحتمالية القائلة بأن الإنسان جزء من الطبيعة، وأنه يخضع في كل جزئيات حياته وأفعاله لنظام العالم الطبيعي، وهو ما اعتبره كارل بوب نوعاً من "القدرة القبلية"، وانتقد بشكل لاذع معتبراً أن مثل ذلك القول سيقود إلى "فكرة أن الجزيئات الأولية لعالم الطبيعة كانت تتضمن شعر هوميروس وفلسفة أفلاطون وسيمفونيات بتهوفن مثلما تحتوي الحبة النبتة"، فيخلص إلى أن شكلاً من أهم أشكال حرية الإنسان وهو حرية الإبداع يخضع لمحددات ثلاث : "إكراهات العالم الطبيعي، محددات عالم الأحساس والوجودان، إضافة إلى قوانين عالم الفكر والتمثلات الفكرية".

ومن ثم ينتهي إلى أن أبرز دليل على حرية الإنسان داخل عالم الاحتماليات هو حريته في الإبداع و اختيار الطريق التي يريد فيها.

7- تركيب

يتبع من خلال التصورات السابقة وجود تباين حاد بشأن خضوع الفعل الإنساني للحرية أو خضوعه للاحتمالية. فإذا كان ابن رشد قد حاول تجاوز التعارض الكلامي بين المدافعين عن الحرية والمدافعين عن الاحتمالية من خلال إقراره بخضوع الفعل الإنساني للجبر والاحتمالية في نفس الوقت، وهو ما لمح إليه عبد الله العروي حينما أكد على دور العلم المعاصر في خدمة الحرية أو محاصرتها، فإن مناصر النزعة اللاحتمانية كارل بوب يذكر نزعة التحرر الإنسانية رغم أنه لا يعتبر الحرية معطى مطلقاً.